(أهمية التوفيق في حسن اختيار الصديق)

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد ،،،

الحمد لله الذي ألّف بين القلوب برباط الإيمان، وجعل الأخوّة في الله أعلى مراتب الودّ والحنان، أحمده سبحانه وهو الكريم المنّان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الرحيم الرحمن، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، سيد ولد عدنان، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد.....

فيا عباد الله: لقد حث الإسلام على حسن اختيار الصحبة لأهميتها في بناء شخصية الأفراد؛ فينبغي على المرء أن يحسن اختيار الصاحب، لأنه يكون على هديه وطريقته ويتأثر به، كما قيل: الصاحب ساحب، حتى لو أردت أن تعرف أخلاق شخصٍ فسل عن أصحابه. قال الشاعر:

عَنْ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ * * * فَكُلُّ قَـرِينٍ بِالْمُقَارَنِ يَقْـتَدِي

إذَا كُنْت فِي قَوْمٍ فَصَاحِبْ خِيَارَهُمْ * * * وَلَا تَصْحَبْ الْأَرْدَى فَتَرْدَى مَعَ الرَّدِي

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: '' **الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**'' [أحمد] أي لا تصاحب إلا من رضيت دينه وأمانته فإنك إذا صاحبته قادك إلى دينه ومذهبه.

وقد صور النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك فقال:'' **مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً**''(متفق عليه)

ويقول الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ''ما أعطي العبد بعد الإسلام نعمة خيراً من أخ صالح ، فإذا وجد أحدكم وداً من أخيه فليتمسك به ''..

ولابد أن نعلم أن كل صداقة لغير الله تعالى؛ تنقلب يوم القيامة عداوة، قال تعالى: { **الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ** }. [الزخرف:67]، فالأصدقاء في الآخرة يعادي بعضهم بعضًا إلا أصدقاء الإيمان، الذين بنوا صداقاتهم على الحب في الله والبغض في الله.

وفي معنى الآية الكريمة ؛ روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال:

" كان خليلان مؤمنان وخليلان كافران، فمات أحد المؤمنين فقال: يا رب، إن فلانا كان يأمرني بطاعتك، وطاعة رسولك، وكان يأمرني بالخير وينهاني عن الشر. ويخبرني أني ملاقيك، يا رب فلا

تضله بعدي، واهده كما هديتني، وأكرمه كما أكرمتني. فإذا مات خليله المؤمن جمع الله بينهما، فيقول الله تعالى :ليثن كل واحد منكما على صاحبه، فيقول يا رب، إنه كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالخير وينهاني عن الشر، ويخبرني أني ملاقيك، فيقول الله تعالى: نعم الخليل ونعم الأخ ونعم الصاحب كان.

قال: ويموت أحد الكافرين فيقول: يا رب، إن فلانا كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالشر وينهاني عن الخير، ويخبرني أني غير ملاقيك، فأسألك يا رب ألا تهده بعدي، وأن تضله كما أضللتني، وأن تهينه كما أهنتني، فإذا مات خليله الكافر قال الله تعالى لهما: ليثن كل واحد منكما على صاحبه، فيقول: يا رب، إنه كان يأمرني بمعصيتك ومعصية رسولك، ويأمرني بالشر وينهاني عن الخير ويخبرني أني غير ملاقيك، فأسألك أن تضاعف عليه العذاب، فيقول الله تعالى: بئس الصاحب والأخ والخليل كنت. فيلعن كل واحد منهما صاحبه. قلت: والآية عامة في كل مؤمن ومتق وكافر ومضل » . (تفسير القرطبي).

ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يستعيذ في دعائه من صاحب السوء ؛ فعَنْ عُقْبَةَ بن عَامِرٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:" **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ يَوْمِ السُّوءِ، وَمِنْ لَيْلَةِ السُّوءِ، وَمِنْ سَاعَةِ السُّوءِ، وَمِنْ صَاحِبِ السُّوءِ، وَمِنْ جَارِ السُّوءِ فِي دَارِ الْمُقَامَةِ** ". [الطبراني]

وصاحب السوء يجرك إلى المعاصي والفسوق والفساد ؛ فكم ضل من ضل بسبب صاحب فاسد أو مجموعة من الأصحاب الفاسدين، ويدل على ذلك أنه لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَه رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا عَمِّ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ. فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟! فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ وَيُعِيدُ لَهُ تِلْكَ الْمَقَالَةَ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ:

هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأَبَى أَنْ يَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَا وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:{ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ** } (التوبة 113) وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:{ **إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** } (القصص 56).(متفق عليه).

صفات الصديق الصالح :

1– **حُسن الخُلق:**

روى الترمذي عن أبي الدرداء: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((**ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلقٍ حسنٍ، وإن الله ليُبغض الفاحش البذيء**).

روى الترمذي عن علي بن أبي طالب: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((**إن في الجنة غرفًا ترى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها**))، فقام أعرابي فقال: لمن هي يا رسول الله؟ قال: ((**لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى لله بالليل والناس نيام**).

2- **الصلاح والتقوى:**

يجب على المسلم أن يختار الصديق الذي يتصف بالصلاح والتقوى في أقواله وأفعاله.

•روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((**لا تصاحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقي**))؛

وليحذر المسلم من مصاحبة الإنسان الفاسق، المصر على معصيته.

•قال الله تعالى :﴿ **وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا** ﴾ [لكهف: 28]

3-**الصدق في الأقوال والأفعال:**

قال تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾]التوبة: 119.[

•روى الشيخان عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((**إن الصدق يهدي إلى البِر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدُقُ حتى يكون صِدِّيقًا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا**)

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يرزقنا صحبة الأخيار ويكفِيَنا صحبة الأشرار.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه: فضيلة الشيخ/ **أحمد عبد الغني** – مبعوث وزارة الأوقاف المصرية بالبرازيل.